شرح العلامة الزرقاني

المتوفى سنة ١١٢٢ هـ

على

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية

للعلامة القسطلاني

المتوفى سنة ٩٢٣ هـ

ضبطه وصححه

محمد عبد العزيز الخالدي

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ كان محمد ﷺ أول من قال بلى، ولذلك صار محمد ﷺ يتقدم الأنبياء، وهو آخر من بعث.

فإن قلت: إن النبوة وصف ولا بد أن يكون الموصوف به موجودًا، وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة ....

ظهورهم) بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار **(ذرّياتهم)** بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلاً بعد نسل؛ كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان بفتح النون يوم عرفة، ونصب لهم دلائل على ربوبيّته، وركب فيهم عقلاً، والأخبار والآثار شاهدة بهذا فتعسّف من جعل الآية للتمثيل: ﴿**وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم**﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قالوا بلى **(كان محمّد ﷺ أول من قال: بلى،)** أنت ربّنا **(ولذلك صار محمّد ﷺ يقدم الأنبياء وهو آخر من بعث.)**

وأورد على قوله وآدم بين الروح والجسد، قوله: **(فإن قلت إنّ النبوّة وصف)** أي: معنى يقوم بالمحل وهو كونه موحى إليه بأمر يعمل به، فالمراد بالوصف الأثر، وهو في الأصل مصدر، **(ولا بدّ أن يكون الموصوف به موجودًا وإنما يكون)** الوصف بالنبوّة **(بعد بلوغ)** الموصوف بها **(أربعين سنة،)** إذ هو سنّ الكمال ولها تبعث الرسل، ومفاد هذا الحصر الشامل لجميع الأنبياء حتى يحيىٰ وعيسى هو الصحيح. ففي زاد المعاد ما يذكر أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لا يعرف به أثر متّصل يجب المصير إليه. قال الشامي: وهو كما قال فإنّ ذلك إنّما يروى عن النصارى، والمصرّح به في الأحاديث النبويّة أنه إنّما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة.

أخرج الطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات، عن عائشة أنه ﷺ، قال في مرضه الذي توفي فيه لفاطمة: «إن جبريل كان يعارضني القرءان في كل عام مرة، وأنه عارضني بالقرءان العام مرّتين وأخبرني أنه لم يكن نبيّ إلا عاش نصف الذي قبله، وأخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة، ولا أراني إلا ذاهبًا على رأس الستّين»، انتهى ملخّصًا.

وروى أبو يعلى عن فاطمة مرفوعًا، أنّ عيسى ابن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة، فهذا مما يؤيّد ذلك ولا يرد عليه قوله تعالىٰ في حقّ عيسى: ﴿وجعلني نبيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، لأن معناه جعلني مباركًا، نفّاعًا للخير، والتعبير بلفظ الماضي باعتبار ما سبق في قضائه، أو لجعل المحقّق وقوعه كالواقع. ولا قوله في يحيىٰ: ﴿وآتيناه الحكم صبيًّا﴾ [مريم: ١٢]، لأن معناه الحكمة وفهم التوراة، ومن فسّره بالنبوّة فهو مجاز لأنه لظهور آثارها كأنه أوتيها، ولا ما في تهذيب النووي وعرائس الثعلبي أن صالحًا بعثه الله إلى قومه وهو شابّ، وأقام فيهم عشرين سنة، وتوفي بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة، لجواز أنه على التقريب بإسقاط عامي الولادة والموت، فلا ينافي أنه أرسل على رأس الأربعين، وكونه في ذلك السن، لا ينافي إطلاق الشابّ عليه، كما